الإضلال بالاستهزاء في القران الكريم
دراسة في دلالة التركيب

الأستاذ المساعد الدكتور علاء عبد الأمير شهيد السنجري
alaaabdilameer@gmail.com
الباحث ليث حسين حسن
h.h93@gmail.com
جامعة الكوفة – كلية الآداب

Mocking misguidance in the Holy Quran-
A study in the stracture signifince

Assistant Professor Dr. Alaa A. Shaheed
Researcher Laith H. Hassan
University of Kufa , College of Arts

الخلاصة :

ينطلق هذا البحث من سؤال جوهري هو: كيف استُعمل أسلوب الاستهزاء في القرآن الكريم من أجل تضليل الناس وإبعادهم عن رسالة النبي محمد (ﷺ) ؟ وهل يكون في خطابات التضليل بالاستهزاء تفاوت من حيث قوة التركيب وضعفه ؟ أو مدى نجاعته ؛ بوصفه سلاحا ذا حدين من الممكن أن يرفع عن المستهزأ به الجديّة ويتعامل معه كأنه شيء يتلهّى به.

وجاء البحث في تحليل التراكيب المستعملة في سياق الاستهزاء الذي كان قد جابهه الرسول محمد (ﷺ) من المشركين واليهود والمنافقين، ودرسنا فيه الاستهزاء الصريح وليس الضمني والدال عليه بألفاظها، وحاولنا التفريق بين تلك الألفاظ والمفاهيم والتراكيب.

الكلمات المفتاحية : الإستهزاء ، المشركين ، اليهود ، المنافقين ، السخرية ، اللعب ، الإضلال .

Abstract:

This research starts from a fundamental question: How was the method of mockery in the Holy Qur'an used to mislead people and drive them away from the message of the Prophet Muhammad (PBUH)? Is there a difference between them in terms of the strength of the installation and its weakness? And its efficacy as a double-edged sword can be lifted from the scorner of seriousness and deal with it as if it were something to be distracted by.

The research came in analyzing the structures ،these sentences used in the context of the mockery that the Messenger Muhammad (PBUH) had faced from the polytheists ،the Jews ،and the hypocrites.

key words : Mockery , polytheists , Jews , hypocrites , mockery , playing , delusion .

المقدمة :

إن دعوات الرسل لأقوامهم - كما يذكر القرآن الكريم - جوبهت بدعاوى مضادة لها، الغاية منها تنفير الناس عن تلك الرسالات، وقد استعملوا فيها موضوعات كثيرة: كاتهام الأنبياء بالجنون، والسحر، وغيرها من الأباطيل المضللة.

ومن غايات الدراسة الوقوف على مضامين ومفاهيم خطاب فئات المضلين في القرآن الكريم وبيان أدلتهم التي سوّغوا بها عنادهم وتعصبهم ضد الدعوات الإلهية المتعاقبة لهم ببعثة الرسل والأنبياء، وعدد مرات تكرار تلك المفاهيم التي تظهر في خطاب المضلين، ثم في النهاية يقوم الباحثان باستخلاص النتائج عبر الحصر الكمي واستخلاص الدلالات.

وسنركز في بحثنا هذا على استعمال الاستهزاء بوصفه أداة بيد المضلين؛ لإبعاد الناس عن الأنبياء. وسندرس تحديدا الاستهزاء الذي طال النبي محمد (ﷺ) ورسالته من المشركين واليهود والمنافقين، فقد ورد في القران الكريم أن هذه الفئات الثلاث استهزؤوا بالنبي ورسالته وأصحابه، فالسؤال المحوري هو: كيف استعمل هؤلاء الأقوام الاستهزاء في تضليل جماهيرهم؟ وذلك يفضي بنا إلى دراسة التراكيب المستعملة في إطلاق هذه الشبهة، وتحليلها، ومحاولة الوقوف على أسرارها، ومن ثمَّ المقارنة فيما بينها. فهنالك تفاوت في تراكيب هذه الشبهة بين الأقوام في قوتها وضعفها تركيبيا.

وسندرس التراكيب التي وردت فيها ألفاظ الاستهزاء الصريحة لا الضمنية، كالهزء والاستهزاء والسخرية وغيرها، مع لحاظ التفريق بين تلك الألفاظ الدالة على الاستهزاء، وبيان خصوصية استعمالها، وتناولنا في الدراسة الفئات مرتبة ترتيبا زمنيا، وسيكون ترتيب الشواهد المنتقاة بحسب اسبقيتها في الترتيب القرآني، وعدنا في التحليل وبيان الفروق والمقارنة بينها

إلى كتب التفاسير، وبعض كتب اللغة والفروق. واستعنا فضلا عن ذلك بكتابين في الموضوع نفسه هما: (أسلوب السخرية في القرآن الكريم) للدكتور عبد الحليم حفني، وكتاب: (السخرية في الأدب العربي) للدكتور محمد نعمان محمد أمين طه، فهما كتابان مهمان تطرقا لموضوع مهم أيضا في القرآن الكريم والأدب العربي، ولكنهما ركزا جل دراستهما على الجانب النفسي وما يحصل للمهزو به وصفات الهازئ وطرق الاستهزاء وأساليبها، ولم يتعرضا إلى التراكيب المستعملة وتحليلها وبيان أسباب استعمال مفردات مخصوصة فيها.

وسينطلق الباحثان من اللغة بوصفها أداة بناء الخطاب والنص، ومن الأسلوب والعلاقات المتبادلة بين أجزاء خطاب المضلين والكل الذي يكون خطاب المضلين، لكي يصبح معنى النص ودلالته واضحَين. وإن أسلوب تحليل الخطاب لا يقف عند حد البنية السطحية للنصوص، بل يتجاوزها إلى القراءة التأويلية للنص واستنطاق رموزه وإشاراته التي يحيل إليها النص، أو ما يعبر عنه بما لم يقله النص أو ما سكت عنه النص (دلالة المفهوم).

وعالجنا شواهدنا وحللناها إلى عناصرها الأولية بإطلاق مجموعة من الأسئلة ومحاولة الإجابة عنها، أسئلة عن نوعية المفردة واختيار القرآن لها من دون غيرها، ومقارنتها معها، واختيار صيغة صرفية معينة، مع ملاحظة نوعية الجملة والانزياحات التي تعتريها والموضوعات المستعملة في كيل تلك الدعاوى. وماذا استعمل فيها من تراكيب ؟ للوقوف على دلالات تلك الخطابات.

وقد التزمنا في البحث قراء حفص عن عاصم ولم نورد عن القراءات الأخرى شيئا واحدا قط التزاما بالمنهج الذي وضعناه. والعمل في القرآن بحد ذاته يمثل صعوبة على الباحث؛ لأنه كتاب مقدس ينبغي التعامل مع شواهده بحذر كبير ولا ينبغي الخطأ فيه. زيادة على أن آراء المفسرين كثيرة ومتشعبة

تصل حد التناقض أحيانا بسبب توجهاتهم الفكرية، فاختيار الرأي الأصوب بينها عملية معقدة تقتضي الجهد، فضلا عن صعوبة أخرى منهم وهي أنهم يُفرغون حمولتهم المعرفية في بدايات تفاسيرهم حين إعطاء رأي ما في مسألة ما، فإذا كان الشاهد في أواسط القرآن أو أواخره عليك العودة إلى البدايات لتتبع ذلك الشاهد أو القضية التي أنت بصددها.

أولاً : استهزاء المشركين:

أول دعوى مضادة للنبي(ﷺ) ورسالته- بعد أن بعثه الله تعالى- كانت من هذه الفئة من الناس، وكانوا في مكة أول الامر، إذ كانت أمة تعبد الأصنام، فلم توافق اهواءهم الدعوة إلى تركها وعبادة إله واحد واستهجنوها واستغربوا من جعل كل تلك الآلهة واحدا، فعمدوا إلى رفضها واتباع أسلوب مضاد عبر إطلاق تهم وشبهات من شأنها النيل من شخص النبي(ﷺ) ورسالته من ضمنها اتهامه بأنه ساحر ومجنون وشاعر وغيرها، وعمدوا معها على أسلوب الاستهزاء؛ للحط من قدره واستصغاره -حاشاه-، وتنفير الناس عنه ،فقد وردت هذه الدعوى في ثلاثة مواضع: الأول والثاني متشابهان من ناحية التركيب المعبر عن الهزؤ في بدايتهما، و يختلفان في التكملة. والثالث في السخرية.

١- قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾[1]، فـ(إذا) أداة شرط غير جازمة مقطوع بحدوث ما بعدها، والهزء: "إظهار خلاف الإبطان لإيهام النقص عن فهم القصد"[2]، و في تعريف آخر: " إظهار خلاف الإبطان لاستصغار القدر على وجه اللهو"[3]، ومعنى اتخاذه هزواً " أنهم يجعلونه مستهزأ به ، فهذا من باب الإخبار بالمصدر للمبالغة وهو بمعنى المفعول" [4]، إضافة إلى توكيد الهزء بالحصر فهم عندما يرونه يتخذونه مهزواً به فقط.

ثم قالوا تكملة الآية: " وهو حكاية، أي يقولون ذلك "[٥]، ففيها حذف للقول وتقديره ما ذكرناه، أو "قائلين وهو في موضع الحال" [٦]، ودلّ على ذلك المحذوف جملة (إن يتخذونك إلا هزواً)؛" لأن الاستهزاء يكون بالكلام"[٧] فعُلم من ذلك أن هناك محذوفاً والهمزة فيه للتعجيب واسم الإشارة مستعمل في معنى التحقير والاستصغار[٨] فقد هيّج لديهم حالة من العجب والإنكار والاستغراب من النبي إذ هو الذي يذكر الهتهم بسوء ويعيبون عليه ذكره هذا.

والذكر: " يكون بخير وبخلافه فإن دلت الحال على أحدهما أطلق ولم يُقيدً كقولك للرجل سمعت فلاناً يذكرك فإن كان الذاكر هو صديقاً فهو ثناء وإن كان عدواً فذم " [٩]، والمعنى هنا واضح أنه على الذم فهم يعدونه عدواً لهم ولآلهتهم وقد " أطلقوا في قولهم ولم يقولوا هذا الذي يذكر ألهتكم بكل سوء لأنهم استفظعوا حكاية ما يقوله النبي من القدح في آلهتهم رمياً بأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر وحاشوها من نقل ذمها مفصلاً فأومأوا إليه بالإشارة المذكورة كما يتحاشى المؤمن من حكاية كلمة الكفر فيومئ إليها بلفظ يفهم المقصود بطريق التعريض"[١٠].

ثم يصفهم تعالى بقوله: (وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمنِ هُمْ كافِرُونَ)، وفي هذه الجملة "عجّب تعالى نبيّه منهم حيث جحدوا الحي المنعم القادر العالم الخالق الرازق واتخذوا ما لا ينفع ولا يضر ثم إن دعاهم إلى تركها اتخذوه هزواً وهم أحق بالهزء عند من يدبّر حالهم " [١١]، وذكر تعالى الضمير (هم) وأعاده بعدها ثانية فالمرة "الأولى إشارة إلى القوم الذين كانوا يفعلون ذلك الفعل، والثانية إبانة لاختصاصهم به، وأيضاً فإنّ في إعادتها تأكيداً وتعظيماً لفعلهم " [١٢]، فحالهم هذه حري بأن يدعو للتعجب منها إذ يتركون ربّ كل شيء والعالم بكل شيء ويتمسكون بعبادة أصنام هم من صنعها بأيديهم صم بكم عمي.

٢- قولـه تعـالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [١٣]، فقـد أعـاد تعـالى خطـاب الهـزء نفسـه تقريبـاً مـن ناحيـة التركيـب، بـ (إذا) الشـرطية ومـا بعـدها والاخـتلاف ذكـره للـذين كفـروا في الموضع السابق والتعبير عنهم بالضمير هنا إشارة إليهم، وربما يدل تنكير (هـزواً) في الموضـعين علـى أنهمـا مختلفـان، فيـومئ ذلـك إلى تعـدد مواضـع استهزائهم وكثرتها ولا سيما ورودها في سياق الحصر.

والاخـتلاف الآخـر في تكملـة الآيـة، والهمـزة فيهـا للدلالـة علـى التعجـب والإنكار لأنهم يعتقدون أنه ما بعثه الله[١٤]، والضمير (هذا) كما في الآية السابقة لاستصـغار الرسـول وتحقـير شـأنه والجملـة تفسـير للاسـتهزاء الحاصـل مـنهم ، والمضمر العائد من الصلة إلى الموصول محذوف للاختصار لئلا يطول الكلام فيه، والمعنى: أهذا الذي بعثه الله رسولاً[١٥] وقد أخرجوا كلامهم " في معرض التسـليم والإقـرار وهـم في غايـة الجحـود والإنكـار سـخرية واسـتهزاء ولـو لم يستهزئوا لقالوا: أهذا الذي زعم أو ادّعى أنه مبعوث من عند الله رسولاً "[١٦].

وأكمل تعالى قوله في الآية اللاحقة وهي (إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا) فـ (إنْ) الأولى: أي في قوله: (إِنْ يَتَّخِذُونَكَ) نافية، والثانية في هذه الآية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما[١٧]، و(كاد) من أفعال المقاربة فهو لمّا يفعل بعد، أي: قارب أن يصرفنا عن عبادة آلهتنا ويأخذنا إلى وجه يؤدي إلى هلاكنا، فالإضلال مضمن معنى الصرف لتعدية فعله بحرف الجر (عن) [١٨]، وقد " نسبوا الإضلال إلى الرسول لا لأنفسهم فلم يقولوا كدنا نضل بسببه مثلاً ترفعاً على أن يكونوا قاربوا الضلال عن ألهتهم " [١٩]، فقد نسبوه إلى النبي لأنهم يعتقدون أنه ذاهب بهم إلى طريق الهلاك فربما تغضب ألهتهم عليهم إن تركوها.

ولولا هنا حرف امتناع لوجود، أي: امتناع وقوع جوابها لوجود شرطها، فتقتضي وجود جواب لشرطها، وهو هنا محذوف دل عليه قول سابق (إن كاد ليضلنا) [٢٠]، والفائدة من نسج الكلام على هذا السؤال من دون أن يؤتى بأداة الشرط ابتداءً متلوة بجوابها " قصدا العناية بالخبر ابتداءً بأنه حاصل ثم يؤتى بالشرط بعده تقديراً لإطلاق الخبر، فالصناعة النحوية تعتبر المقدم دليل الجواب، والجواب محذوفاً في نظر النحوي لإقامة أصل التركيب، فأما أهل البلاغة فيعتبرون ذلك للاهتمام وتقييد الخبر بعد إطلاقه " [٢١]، ولذا قال صاحب الكشاف : "لولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى – لا من حيث الصنعة – مجرى التقييد في الحكم المطلق"[٢٢].

ونستنتج من ما عرضناه أمور:

أ- سمّوا دعوة النبي إلى الإسلام وترك آلهتهم إضلالاً، ففيه "دلالة على تعظيم ألهتهم وفي استعظامهم صنيعه(ﷺ) في صرفهم عنه وذلك يدل على أنهم كانوا يعتقدون أن هذا هو الحق"[٢٣] ففي معنى الإضلال هلاك للنفس وهم لا يريدون ذلك لأنهم متمسكون بالحياة الدنيا بأقصى ما لديهم!!!.

ب- يدل على جدّ الرسول واجتهاده في صرفهم عن عبادة الأصنام حتى قارب أن يصرفهم، لو لا فرط الحاحهم على تمسكهم بعبادة آلهتهم[٢٤].

ج- يدل على" اعتراف لقوم بأنهم لم يعترضوا البتة على دلائل الرسول وما عارضوها إلا بمحض الجحود والتقليد، لأن قولهم (لو لا أن صبرنا عليها) إشارة إلى الجحود والتقليد، ولو ذكروا اعتراضاً على دلائل الرسول لكان ذكر ذلك أولى من ذكر مجرد الجحود والإصرار الذي هو أدب الجهال، وذلك يدل على أن القوم كانوا مقهورين تحت حجته وأنه ما كان في أيديهم إلا مجرد الوقاحة " [٢٥]، إذ لم يحاجوا الرسول بالطرق السليمة للحجاج وإبراز أدلتهم على صدق عبادتهم لهذه الأصنام، بل قالوها عناداً منهم

وتكبراً وإصراراً على ما هم فيه، وحتى حجة أنهم وجدوا أباءهم على عبادتها أبطلها القرآن ، فإن أجدادهم كانوا لا يعلمون شيئاً وبهذا اضافوا جهلاً إلى جهلهم فهم يعبدونها لمجرد عبادة آبائهم لها فكأنهم ليس لهم وجود أو هم نسخة من أجدادهم الذين وصفهم القرآن بالضلال، فهم أضل منهم وأضل من الأنعام.

د-يدل على أنهم كانوا كالمتحيرين في أمر الرسول فتارة يستهزئون به على نحوٍ وقح وتارة أخرى ينعتونه بما لا يليق إلا بالعالم الكامل، ذلك أنهم استهزأوا به في البداية ثم أنهم بسببه قاربوا أن يضلوا عن آلهتهم حسب زعمهم[٢٦].

ورد الله تعالى عليهم كلامهم من ثلاثة أوجه بثلاثة أقوال:

أ- قوله في ذيل الآية (سوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا) ففيه وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالت مدة الإمهال فلا بد للوعيد من أن يلحقهم فلا يغرنهم التأخير وقوله (من أضل سبيلا) كالجواب عن قولهم (إن كاد ليضلنا)، لأنهم نسبوا الضلالة لرسول الله(ﷺ) من حيث لا يضل غيره إلا من هو ضال في نفسه[٢٧] فسيتبين يوم القيامة من هو الضال الحقيقي.

ب- قوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [٢٨] الهمزة الأولى في الآية "تعجيب من جهل من هذه صفته ونعته"[٢٩]، ومعنى (اتخذ إلهه هواه) – على قول من رفض تقديم المفعول الثاني وكان على هذا الترتيب – أنه " انسلخ عن الآلهة وعبادته إلى اتباع هواه " [٣٠]، أما المعنى الآخر المبني على أن في الكلام تقديماً فيُصبح مفاده أن من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يقبله ويرفضه ولا يتبصر دليلاً ولا يصغي إلى برهان فهو عابد هواه وجاعله الهه فقد آخّر هواه وأوصل القول : اتخذ الهوى إلهاً للعناية كما تقول علمت منطلقاً زيداً: لفضل عنايتك بالمنطلق[٣١]، والمعنى أنه تعالى " بيّن أن بلوغ هؤلاء في جهالتهم وإعراضهم

عن الدلائل، إنما كان لاستيلاء التقليد عليهم وأنهم اتخذوا أهواءهم آلهة فكل ما دعاهم إليه الهوى انقادوا له " [٣٢]، فقد حصر في تقديم المفعول الثاني فصار المعنى أنهم لا يتخذون آلهة إلا هواهم، فيما لم يُفد المعنى لو لم يكن تقديم وتأخير.

فيقول الله لرسوله (ﷺ) من قوله (أفأنت تكون عليه وكيلاً): " هذا الذي لا يرى معبوداً إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى أفتتوكل عليه وتجبره على الإسلام وتقول لا بد أن تُسلم شئت أو أبيت ولا إكراه في الدين " [٣٣] أو " لا تكون له أنت حافظاً من الخروج إلى هذا الفساد "[٣٤].

ج- قوله تعالى ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [٣٥]، وأم هذه منقطعة للإضراب معناه بل أتحسب "كأن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقّت بالإضراب عنها إليها وهو كونهم مسلوبي الأسماع والعقول لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق أذنا ولا إلى تدبره عقلاً مشبهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلال"[٣٦] ثم إنهم أكثر ضلالة منها وقد كانوا أضل من الأنعام ؛ " لأن الأنعام تنقاد لأربابها وللذي يعلفها ويتعهدها وتميز بين من يُحسن إليها وبين من يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء ينقادون لربهم ولا يميزون بين احسانه إليهم وبين إساءة الشيطان إليهم الذي هو عدو لهم"[٣٧]، ثم أنهم أشد ضلالة من الأنعام لأنها لا عقل لها تفكر به وهم لديهم عقول ويتبعون غرائزهم.

٣- **السخرية:** قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ [٣٨]، (بل) للإضراب والانتقال من غرض إلى غرض " فأنت يا محمد تتعجب من إصرارهم على الإنكار وهم في طرف الإنكار وصلوا إلى حيث يسخرون منك في قولك بإثبات الحشر والنشر والقيامة "[٣٩] ، أو " أن الفعل الماضي مستعمل في معنى الأمر، وهو استعمال الماضي في معنى

الطلب للمبالغة كما يُستعمل الخبر في إنشاء صيغ العقود نحو: بعت والمعنى: اعجب لهم "[٤٠] ويسخرون معناه : " يهزؤون بدعائك إياهم إلى الله والنظر في دلائله وآياته " [٤١] وجيء بالمضارع فيه" لإفادة تجدد السخرية وإنهم لا يرعوون عنها"[٤٢]، كما أنهم إذا ذكروا لا يتفكرون بآيات الله بقصد الانتفاع منها، وإذا رأوا آية يبالغون في السخرية[٤٣]، فمعنى يستسخرون: "يسخرون"[٤٤]، فيكون" فعل بمعنى استفعل"[٤٥]، أو " يطلب بعضهم من بعض أن يسخروا ويهزؤوا بآيات الله فيقولون ليس هذا الذي تدعونا إليه من القرآن وتّعيه إنه من عند الله (إلا سحر مبين) أي ظاهر بيِّن " [٤٦].

والسخرية الأولى مختلفة عن الثانية بدليل العطف الذي يقتضي التغاير والاختلاف بينهما، فالمعنى في الأولى: أنهم يسخرون سخرية من محاجّة رسول الله إياهم والسخرية الثانية سخرية من ظهور الآيات والمعجزات[٤٧] ويصفونها بأنها سحر على سبيل التلهي، فسخريتهم في تصاعد، إذ في الأولى على لفظ الفعل المجرد من الزيادات والثاني زاد في المبنى ما ينبئ عن زيادة في المعنى مع تغير موضع الهزء وفي ذلك زيادة في السخرية الثانية لشدة كفرهم وعنادهم.

ثانياً: استهزاء اليهود:

بعد أن عدد الله تعالى خطابات اليهود المضلة في آيات سابقة، أرادوا فيها ضمناً نوعاً من الاستهزاء بالرسالة المحمدية، والاستهزاء في هذا الموضع صريحاً، فكانوا ينافقون لأجل الاستهزاء ثمّ الإضلال، والان هم يستهزئون لأجل الإضلال مباشرة بجعل الصلاة وهي أحد أركان الإسلام سخرية، ولا يأخذونها على محمل الجد؛ ليُنفِّروا الناس عنها ولا يقربوها.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [٤٨]، فقد أخبر تعالى أن المشركين وقع منهم استهزاء بقوله: (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) [٤٩]، وعن المنافقين في قوله:﴿ وَإِذَا

لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٥٠)،

وأخبر عن الكتابي في هذه الآية(٥١)، وأفرد القول بالكفار- أي المشركين – بأن عطفهم على الذين أوتوا الكتاب؛ لامتياز أهل الكتاب عن الكفار؛ لأن العطف يقتضي المغايرة(٥٢)، ولتضاعف كفرهم فإنهم مشركون عريقون في الكفر وأصلاء في الشرك دون أهل الكتاب الذين عرض عليهم الكفر والشرك وليس من أصل دينهم(٥٣)، والتعبير بالاتخاذ كونه دائماً وهو شأنهم(٥٤).

والهزء في اللغة: " مزح في خفية" (٥٥)، وقيل: "السخرية، وهو إظهار ما يُلهي تعجباً مما يجري"(٥٦)، ومنه الاستهزاء وهو "ارتياد الهزؤ"(٥٧)، والاستهزاء "يقتضي تحقير المستهزأ به واعتقاد تحقيره"(٥٨)، و يقال: "هزئ واستهزأ إذا سخر"(٥٩)، وثمة فرق بين السخرية والاستهزاء(٦٠).

واللعب: "الأخذ على غير طريق الحق"(٦١)، ويسمى لاعباً "إذا كان فعله غير قاصد به مقصداً صحيحاً"(٦٢)، فقد كانت طريقتهم "أن لا يدخلوا مع المسلمين في حوار قائم على الاحترام المتبادل بين الطرفين، بل كانوا يعملون على إثارة أجواء السخرية والاستهزاء واتباع أساليب العبث واللعب بالمفاهيم والاحكام والشعارات الدينية"(٦٣)، فوضع الجد موضع اللعب والاستهزاء يثير جواً من الشك والريبة لدى المسلمين في تلك الشرائع والعقائد وكذلك لأجل الإساءة لتلك التعاليم الدينية.

وسبب وصفهم هذا الوصف -السفهاء-"لإغراء المؤمنين بعداوتهم والبراءة منهم، ولأن حالهم حال السفهاء الذين لا خلاق لهم فكان هذا ذماً لهم وتحذيراً ممن هو في مثل حالهم"(٦٤) ، وبعدها ذكر تعالى مصداقاً من مصاديق الاستهزاء واللعب لبيانه وتأكيده عليهم بقوله:﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ (٦٥)، فإذا أذن المؤذن وآذن بإقامة الصلاة استهزأوا بها، والضمير في(اتخذوها) ربما يعود إلى الصلاة كلها أو إلى المناداة

في قوله (ناديتم)[٦٦]، وعوده على الصلاة يوجه عوده على الأذان لأنه أحد أركانها ومشعرٌ بحلولها.

"فإذا قام المسلمون إلى الصلاة ليعبدوا الله بذلك واجهوهم بأساليب السخرية واللعب؛ ليسيئوا بذلك إلى نفسيتهم ويحطموا معنوياتهم وروحيتهم فيكون ذلك أداة من أدوات التأثير على موقفهم في الثبات على هذا الدين فيما يوحيه ذلك من فقدانهم لاحترام الآخرين والتزامهم به"[٦٧].

والمعنى العام لاتخاذهم اياها هزواً معنيان ينقلهما الطوسي[٦٨]:

١- قال قوم: إذا أذن المؤذن للصلاة تضاحكوا فيما بينهم وتعاندوا على طريق الخفّ والمجون تجهيلاً لأهلها وتنفيراً للناس عن الداعي إليها.

٢- إنهم كانوا يرون المنادي بمنزلة اللاعب الهازئ جهلاً منهم بمنزلها.

وفي ذيل الآية يكون تعليل النهي عن اتخاذ الكفار والذين أوتوا الكتاب أولياء (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون): أي: "بمنزلة من لا عقل له يمنعه من القبائح ويردعه عن الفواحش"[٦٩].

ثالثاً: استهزاء المنافقين:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[٧٠].

وفي الآيتين أمور:

١- التعبير عن لقائهم بالمؤمنين بالفعل (لقي) وبشياطينهم بـ (خلا) فاللقاء "مقابلة الشيء ومصادفته معاً وقد يُعبَّر به عن كل واحد منهما يقال: لقيه يلقاه لقاء ولُقيّاً ولُقْيَةً، ويقال ذلك في الإدراك بالحس وبالبصر بالبصيرة"[٧١]، فـ"كونهم مع أهل الإيمان إنما هو بمجرد المرور والملاقاة فقط"[٧٢].

ولم يورد القرآن الفعل (لاقى) بدل (لقي) واختاره خصوصاً، لأنه – ربما – والله أعلم أن الملاقاة (المفاعلة) تكون من الطرفين، أي: أن الطرفين يسعيان

لأن يلاقي أحدهما الآخر، أو للمبالغة في كثرة اللقاءات وكلا المعنيين لا يناسبانه إذ اللقاء يكون بمحض الصدفة ومقابلة المنافق لمدة من الزمن وهذا ينافي المبالغة وكثرة اللقاء ؛ لأنه كما يتبين من جوّ الآية أنهم يسعون لملاقاة المؤمنين كلّما دعت الحاجة إلى ذلك، أو - ربما – طال الزمن منذ أخر لقاء من باب تذكير المؤمنين أنهم مؤمنون، أو أنه إذا كان من المشاركة فهو ينافي هذا المعنى أيضاً لأنه حاشا لله أن يذم المؤمنين في أنهم يسعون للقاء المنافقين ويجعل الشكوك تحوم حولهم وتغدو تلك نقطة تسجل عليهم يمكن أن تُستغل من أعداء الإسلام وأولهم المنافقون.

"وخلا إليه انتهى إليه في خلوة"(٧٣) ،" وعُدّي الفعل بحرف الجر (إلى) دون غيره يُشير إلى أن الخلوة كانت في موضع مآبهم ومرجعهم فضمن الفعل معنى آب أو خلص"(٧٤)، و" كانت الخلوة بعنوان التفهيم والاستفادة من نواياهم الفاسدة ثم إن الخلوة مع الشياطين تارة على نحو الاستفادة وأخذ الآراء الفاسدة والعقائد السيئة وتارة اخرى لارتكاب الفحشاء والمنكرات وثالثة تكون على نحو التفكير فيما لا ينفع في الدين والدنيا" (٧٥) فالخلوة وإن قصرت تكون أطول من اللقاء أن لقائهم للمؤمنين إنما هو صدفة ولمحات قليلة(٧٦).

وقيل:" خلوا: مضوا "(٧٧)، وقيل: "انصرفوا خالين"(٧٨) وشياطينهم:" رؤساؤهم"(٧٩) أو" أصحابهم من الكفار(٨٠) وروي عن الصادق (عليه السلام):" أنهم كهانهم"(٨١)، وقيل: "الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم"(٨٢).

٢- قوله: (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) توكيد (إنا معكم) "وهو رد للإسلام ودفع له ؛ لأن المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتقداً به ودفع نقيض الشيء توكيد له أو بدل منه لأن من حقّر الإسلام فقد عظم الكفر ، أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا إنا معكم فقالوا فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أهل الإسلام فقالوا إنما نحن مستهزئون"(٨٣).

ولم يعطف تعالى (إنما نحن مستهزئون) على (إنا معكم)؛ لأن" معنى قولهم (إنّا معكم) إنا لم نؤمن بالنبي ولم نترك اليهودية، وقولهم (إنما نحن مستهزئون) خبر بهذا المعنى بعينه لأنه لا فرق بين أن يقولوا لم نقل ما قلنا إلا استهزاءً وبين أن يقولوا إنا لم نخرج عن دينكم وإنا معكم بل هي في حكم الواحد فصار كأنهم قالوا إنا معكم ولم نفارقكم فكما لا يكون (إنا لم نفارقكم) شيئاً أخر غير (إنا معكم) فكذلك لا يكون انما نحن مستهزئون غيره فهو إذ كلام أكد به كلام آخر هو في معناه وليس شيئاً سواه"[٨٤] فاحتاجوا ليبرهنوا كلامهم مع جماعتهم إلى جملتين تؤكد إحداهما الثانية مع ما في كل واحدة من مؤكدات.

٣- تعبيرهم عن الإيمان بالجملة الفعلية أمام المؤمنين ونفيه بالجملة الاسمية أمام شياطينهم مع المؤكدات.

والسبب أن مخاطبتهم المؤمنين انتفى عنها ما يقتضي تأكيد الخبر ؛ لأن المخبرين لم يتعلق غرضهم بأكثر من ادعاء حدوث إيمانهم ؛ لأن نفوسهم لا تساعدهم على أن يتلفظوا بأقوى من ذلك أو لأنهم علموا أن ذلك لا يروج على المسلمين فاقتصروا على اللازم من الكلام فإن عدم التأكيد قد يكون لعدم اعتناء المتكلم بتحقيقه ولعلمه أن تأكيده عبث كعدم رواجه عند السامع وأما مخاطبتهم شياطينهم فإنما أتوا بالخبر فيها مؤكداً ؛ لإفادة اهتمامهم بذلك وصدق رغبتهم في النطق به ولعلمهم برواج ذلك عند المخاطبين فإن التأكيد قد يكون لاعتناء المتكلم بالخبر ورواجه عند السامع [٨٥].

وربما يكون "خلو خطابهم مع المؤمنين مما يفيد تأكيد الخبر لأنهم لا يريدون أن يعرّضوا أنفسهم في معرض من يتطرق ساحته الشك في صدقه ؛ لأنهم إذا فعلوا ذلك فقد أيقظوهم إلى الشك وذلك من اتقان نفاقهم على أنه قد يكون المؤمنون أخلياء النفس من الشك في المنافقين لعدم تعينهم عندهم فيكون تجريد الخبر من المؤكدات مقتضى الظاهر ، وأما قولهم (إنا معكم) بالتأكيد فذلك لّما

بدا من إبداعهم في النفاق عند لقاء المسلمين ما يوجب شك كبرائهم في البقاء على الكفر وتطرق به التهمة أبواب قلوبهم احتاجوا إلى تأكيد ما يدل على أنهم باقون على دينهم"[٨٦].

وعززوه بـ (إنما نحن مستهزئون) لعظم شك شياطينهم فيهم فاحتاجوا إلى هذا الكم من المؤكدات لدفعه لا سيما أن الجملة مستأنفة غير معطوفة لأن سؤالاً يتبادر إلى الذهن لماذا قلتم إنكم آمنتم إذا كنتم معنا ولم تؤمنوا؟ والجواب : إنما نحن مستهزئون فليس غرضها الرئيس الإيمان بل الاستهزاء بهم بالتظاهر أننا آمنا معهم.

ويوضح هذا العدد من المؤكدات مع جماعتهم عن اضطراب موقفهم وشكهم الدائم في أصحابهم الذين يشاطرونهم المعتقد نفسه وربما الدين ذاته، ويُنبئ عن حالة من عدم الاستقرار والاتزان والحيرة . ويفصح عن صفاء قلوب المؤمنين واستقرارهم إذ يتعاملون معهم على أنهم يصدقون ما يقولونه – من أنهم أمنوا – لاطمئنانهم انهم إذا أمنوا أو لم يؤمنوا فلن يضروا الله شيئاً فحال المؤمنين النفسية أكثر استقراراً ويؤدي بالتالي إلى الطمأنينة وراحة البال وصفاء الذهن، وحال المنافقين في شك وريبة وتخبط وبالتالي عدم التصديق حتى بجماعهتم إلا بكمٍّ كبير من المؤكدات ؛ لإزالة الشكوك والأفكار السلبية التي تنخر عقولهم – هذا والله أعلم –

٤- معنى استهزاء الله بهم :

ذكر المفسرون معاني وتأويلات كثيرة في هذه الآية لأن الله لا يصح أن يوصف بذلك فربما يكون معنى الاستهزاء الذي أضافه الله إلى نفسه تجهيله لهم وتخطئته إياهم في إقامتهم على الكفر وإصرارهم على الظلال وسماه تعالى استهزاءً مجازاً وتشبيهاً كما يقول القائل: إن فلاناً ليُستهزأ به منذ اليوم إذا فعل فعلاً عابه الناس به خطئوه فيه فأقيم عيب الناس على ذلك الفعل و إزراؤهم على فاعله مقام الاستهزاء[٨٧].

وربما يستدرجهم الله ويهلكهم من حيث لا يعلمون ويروى عن ابن عباس أنه قال: في معنى استدراج الله لهم: إنهم كانوا كلما أحدثوا خطيئة جدد لهم النعمة، وإنما سمي هذا الفعل استهزاءً من حيث غيّب تعالى عنهم من الاستدراج إلى الهلاك غير ما أظهر لهم من النعم، كما أن المستهزئ منا مخادع لغيره يظهر أمراً ويضمر غيره(٨٨).

وقيل: إنه جعل لهم بما أظهره من موافقة أصل الإيمان ظاهر أحكامهم من نصرة مناكَحَة وموارَثَة ومدافَنَة وغيرها من الأحكام، وإن كان تعالى معداً لهم في الآخرة أليم العقاب لما أبطنوه من النفاق واستسرّوا به من الكفر فكأنه تعالى قال: إن كنتم أيها المنافقون بما تظهرونه للمؤمنين من المتابعة والموافقة وتبطنونه من النفاق وتطلعون عليه شياطينكم إذا خلوتم بهم تظنون أنكم مستهزئون ، فالله تعالى هو المستهزئ من حيث جعل لكم أحكام المؤمنين ظاهراً حتى ظننتم أن لكم مالهم ثم ميّز بينكم في الآخرة ودار الجزاء من حيث أثاب المخلصين الذين يوافق ظواهرهم بواطنهم وعاقب المنافقين(٨٩).

وقيل معناه:" إنزال الهوان والحقارة بهم، لأن المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وإدخال الهوان والحقارة عليه، وقد كثر التهكم في كلام الله تعالى بالكفرة والمراد تحقير شأنهم وازدراء أمرهم والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون(٩٠)،" فمن آثار الاستهزاء حصول الهوان والحقارة، فذكر الاستهزاء وأراد حصول الهوان لهم تعبيراً بالسبب عن المسبب"(٩١).

وقيل معناه: "أن الله هو الذي يرد استهزاءكم ومكركم عليكم، وإنّ ضرر ما فعلتموه لم يتعدكم ولم يحط بسواكم ونظير ذلك قول القائل إن فلاناً أراد أن يخدعني فخدعته وقصد إلى أن يمكر بي فمكرت به والمعنى أن ضرر خداعه ومكره عائد إليه ولم يضررني به"(٩٢).

وقيل معناه: "أنه يجازيهم على استهزائهم فسُمي الجزاء على الذنب باسم الذنب، والعرب تسمي الجزاء على الفعل باسمه"[٩٣] كما في ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ ﴾ [٩٤] . "فإن رد الاعتداء بمثله لا يعتبر عدواناً على المعتدي ؛ لأن مفهوم العدوان يعني الممارسة التي لا تمتلك فيها جانب الحق"[٩٥].

وقيل معناه: ما روي عن ابن عباس "أنه قال: يفتح لهم – وهم في النار – باب من الجنة فيُقبلون إليه مسرعين حتى إذا انتهوا إليه يُسد عليهم فيضحك المؤمنون إذا رأوا الأبواب قد أغلقت دونهم"[٩٦]، ولذلك قال عز وجل: ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ [٩٧] "ففي ترداده من باب إلى باب على سبيل التعذيب معنى الاستهزاء من حيث كان إظهاراً لما المراد بخلافه وإن لم يكف فيه من معنى الاستهزاء ما يقتضي قبحه من اللهو واللعب وما جرى مجرى ذلك" [٩٨].

وقيل معناه:" أن يكون ما وقع عنه ليس استهزاءً على الحقيقة ولكنه سماه بذلك ليزدوج اللفظ ويخف على اللسان وللعرب في ذلك عادة معروفة في كلامها"[٩٩].

والملاحظ في كل المعاني التي ذكرها المفسرون في استهزاء الله بالمنافقين لم يكن حقيقة بل كان سبباً لمسبب أو من باب الرد بالمثل أو لسبب من هنا وهناك فالاستهزاء حقيقة لا يصح أن يوصف به الله تعالى - حاشاه - أن يكون مستهزئاً فهي من صفات البشر ؛ ولأنه قادر على كل شيء.

٥- لماذا استأنف ولم يعطف ؟ وعطف في آيات أخر؟

"لأنه استئناف غاية في الجزالة والفخامة وفيه أن الله هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته، لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل، وفيه أن الله هو

الـذي يتـولى الاسـتهزاء بهـم انتقامـاً للمـؤمنين ولا يحـوج المـؤمنين أن يعارضوهم"[١٠٠].

ولم يعطف لأن قولهم (إنما نحن مستهزئون) حكاية عنهم أنهم قالوا وليس بخبر من الله تعالى وقوله تعالى (الله يستهزئ بهم) خبر من الله تعالى أنه يجازيهم على كفرهم واستهزائهم وإذا كان كذلك كان العطف ممتنعاً لاستحالة أن يكون الذي هو خبر من الله تعالى إلى كونه حكاية عنهم وإلى أن يكونوا قد شهدوا على أنفسهم بأنهم مؤاخذون وأن الله تعالى معاقبهم ، فيما عطف تعالى في الآيتين ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [١٠١] و ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ﴾ [١٠٢] أن الأول من الكلامين فيها كالثاني من أنه خير من الله تعالى وليس بحكاية[١٠٣].

وذكر سبباً آخر لترك العطف هو أن هذا القول ترك لدى السامعين أن يعلموا، امرهم وما سينزل بهم وتخيله وإن كان كذلك كان قوله (الله يستهزئ) فهي معنى الجواب عن القول السابق والتخيلات والأقوال المقدرة وإذا كان مصدره كذلك كان حقه أن يؤتى به غير معطوف في صورة وإذا قيل: فإن سألتم قيل لهم: الله يستهزئ بهم[١٠٤].

٦- التعبير عن استهزائهم بالاسم واستهزاء الله بالفعل:

لأن الفعل يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتاً بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ [١٠٥]، "وما كانوا يخلون في أكثر أوقاتهم من تهتك أستار وتكشف أسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من أن ينزل فيهم"[١٠٦] فـ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ﴾ [١٠٧].

٧- مدهم في الطغيان :

"يريد أن يملي لهم ليؤمنوا ومع ذلك متمسكون بطغيانهم وعمههم"[١٠٨]، و"كيف يجتمع نقيضان فهو يمدهم في طغيانهم والعلة الأمل في إيمانهم، ذلك أنه

يتركهم وما هم فيه لا يحول بينهم وبين ما يفعلونه ولا يفعله بهم من الألطاف التي يؤتيها المؤمنين فيكون ذلك عقوبة لهم واستصلاحاً"[١٠٩].

فلهذا التعبير – نسبة مد الطغيان إلى الله – جانبان في مظهرين سلبي وإيجابي، فقد يتمثل الإمداد بالطغيان في تشجيع الشخص على الإمعان فيه بالأساليب التي تُرغّبه وتدفعه إليه بطريقة إيجابية، وقد يتمثل في الامتناع عن ممارسة الضغوط القوية ضده من أجل منعه عن العمل وشل قدرته على المضي فيه ولعل هذا هو المقصود بالآية فقد كان الله قادراً على أن يعطل قدرتهم على الامتداد بالموت أو بغيره من الوسائل التي تعطلها ولكن لم يفعل ذلك بل تركهم وأنفسهم ليمارسوا عملية المواجهة للواقع من موقع الحرية والاختيار فكان من نتائج ذلك أنهم امتدوا في طغيانهم[١١٠]، وثمة فرق بين المد والإمداد "فكل زيادة حصلت في الشيء من نفسه فهو مددت بغير ألف"[١١١]،وذلك يعني أن الطغيان متجذر فيهم لا أنه مكتسب.

الخاتمة:

تراكيب الاستهزاء تتفاوت فيما بينها من حيث القوّة في السبك ومن حيث توجيه الاستهزاء ، فمن ناحية القوة كان استهزاء المشركين الأقوى تركيباً باستعمالهم للقصر بـ (إن) و(إلّا) وهو مما يُنكر، ثم خطاب المنافقين الذي استعملوا فيه (إنما) التي هي أخفّ وطأة من الأسلوب السابق إذ تستعمل فيما كان واضحاً، ومن ثم اليهود الذين عبّروا عنها بالجملة الفعلية فقط ولكن بها فعل الاتخاذ الدال على الديمومة، مسبوقة بـ (إذا) الشرطية الدالة على تحقق ما بعدها، ثم إن أصل المفاعيل جملة اسمية تفيد الثبوت والتحقق.

وأما نوعيته الاستهزاء والجهة الموجه إليها الاستهزاء فبينها اختلاف أيضاً فضلا عن الاختلاف في التركيب، فالمشركون اتخذوا من صفات النبي

الجسمانية هزواً، واليهود اتخذوا من ركن من أركان الإسلام وأخصها وهو الصلاة هزواً، وينم هذا عن اختلاف فكري فاليهود أصحاب كتاب وهم على مستوى من الاطلاع والثقافة والمشركون ليسوا كذلك وربما أن اليهود بسبب التحريف الحاصل في صفة النبي في كتابهم ابتعدوا عن هذا كي لا يُثيروا الانتباه إليه، والمنافقون استهزأوا بعقول المؤمنين مستغلين بذلك طيبة قلوبهم ونقاء سريرتهم.

هوامش البحث

(١) الانبياء : ٣٦.

(٢) التبيان: ٢٤/٩.

(٣) التبيان: ٢٦٤/٩.

(٤) التحرير والتنوير: ٤٨/١٧ وينظر: الكشاف: ٢٧٣/٣ ومجمع البيان: ٢٩٠/٧ ومفاتيح الغيب: ٨٥/١٩.

(٥) التبيان: ٢٤/٩.

(٦) مجمع البيان: ٨٦/٧.

(٧) التحرير والتنوير :٤٨/١٧.

(٨) ينظر : نفسه .

(٩) الكشاف: ١١٤/٣.

(١٠) الانتصاف (حاشية في شرح الكشاف) مطبوعة في الهامش :١١٤/٣.

(١١) مجمع البيان: ٨٦/٧.

(١٢) مفاتيح الغيب: ١٧/٢٢.

(١٣) الفرقان: ٤١-٤٢.

(١٤) ينظر : التبيان: ٢٦٤/٩.

(١٥) ينظر: والمحرر الوجيز: ٢١١/٤ ، مجمع البيان: ٢٨٩/٧.

(١٦) الكشاف: ٢٧٤/٣.

(١٧) ينظر: نفسه :٢٧٣/٣.

(١٨) ينظر: الميزان: ٢٢٢/١٥.

(١٩) التحرير والتنوير: ٥٧/١٩.
(٢٠) ظ: التبيان: ٢٦٥/٩، معجم البيان: ٢٩٠/٧، الميزان:٢٢٢/١٥، التحرير والتنوير: ٥٧/١٦٩.
(٢١) التحرير والتنوير:٥٧/١٩.
(٢٢) الكشاف: ٢٧٤/٣.
(٢٣) مفاتيح الغيب: ٨٥/٢٤.
(٢٤) ينظر: الكشاف: ٣/ ٢٧٤ ، مفاتيح الغيب: ٨٥/٢٤ ، التحرير والتنوير: ٥٧/١٩.
(٢٥) مفاتيح الغيب: ٨٥/٢٤.
(٢٦) ينظر : نفسه .
(٢٧) ينظر : الكشاف: ٢٧٤/٣.
(٢٨) الفرقان : ٤٣.
(٢٩) مفاتيح الغيب: ٨٦/٢٤.
(٣٠) تفسير ابن عرفة: ٢٣٤/٣.
(٣١) ينظر: المحور الوجيز: ٤ / ٢١٢ ، الكشاف: ٣ / ٢٧٤ .
(٣٢) مفاتيح الغيب: ٨٦/٢٢.
(٣٣) الكشاف: ٢٧٤/٣.
(٣٤) التبيان: ٢٦٥/٩.
(٣٥) الفرقان: ٤٤.
(٣٦) الكشاف: ٢٧٤/٣.
(٣٧) مفاتيح الغيب: ٨٦/٢٤ ، وينظر الكشاف:٢٤٧/٣.
(٣٨) الصافات: ١٣-١٤.
(٣٩) مفاتيح الغيب: ١٢٦/٢٦.
(٤٠) التحرير والتنوير: ١٨/٢٣.
(٤١) التبيان : ١٠ / ١١٩ .
(٤٢) التحرير والتنوير: ٢٣ / ١٨ .
(٤٣) ينظر: الكشاف : ٤ / ٣٧ .
(٤٤) التبيان: ١١٩/١٠.

(٤٥) المحرر الوجيز : ٤ / ٤٦٨ .
(٤٦) التبيان : ١٠ / ١١٩ .
(٤٧) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٦ / ١٢٦ – ١٢٧ ، والتحرير والتنوير: ٢٣ / ١٩ .
(٤٨) المائدة:٥٧.
(٤٩) الحجر:٩٥.
(٥٠) البقرة:١٤.
(٥١) ينظر: التبيان:٥/٣٦٩
(٥٢) ينظر: مفاتيح الغيب:١٢/٣٥.
(٥٣) ينظر: مواهب الرحمن:١١/٤٣٤
(٥٤) ينظر: نفسه.
(٥٥) مفردات الفاظ القرآن:٨٤١.
(٥٦) التبيان:٥/٣٧٠، من وحي القرآن:٨/٢٣٣
(٥٧) مفردات الفاظ القرآن:٨٤١
(٥٨) الفروق اللغوية:٢٨٤.
(٥٩) مقاييس اللغة:٦/٥٢.
(٦٠) يوضح أبو هلال العسكري الفرق بينهما:(أن الإنسان يستهزا به من غير أن يسبق منه فعل يستهزا به من اجله والسخر يدل على فعل يسبق من المسخور منه والعبارة من اللفظين تدل عن صحة ما قلناه وذلك أنك تقول استهزات به فتعدى الفعل منك بالباء والباء للإلصاق كأنك ألصقت به استهزاء من غير أن يدل على شيء وقع الاستهزاء من أجله وتقول سخرت منه فيقتضي ذلك من وقع السخر من أجله كما تقول تعجبت منه فيدل ذلك على فعل وقع التعجب من اجله ويجوز كما تقول تعجبت منه فيدل ذلك على فعل وقع التعجب من اجله ويجوز أن يقال الفروق اللغوية للعسكري أصل سخرت منه التسخير وهو تذليل الشيء وجعلك أياه منقادا فكانك إذا سخرت منه جعلته كالمنقاد لك ودخلت من للتبعيض لأنك لم تسخره كما تسخر الدابة وغيرها وإنما خدعته عن بعض عقله وبني الفعل منه على فعلت لأنه بمعنى عبثت وهو أيضا كالمطاوعة والمصدر السخرية كأنها منسوبة إلى لامسخرة مثل العبودية واللصوصية وأما قوله تعالى (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) فإنما هو بعث

الشيء المسخر ولو وضع موضع المصدر جاز والهزء يجري مجرى العبث ولهذا جاز هزئت مثل عبثت فلا يقتضي معنى التسخير فالفرق بينهما بين). الفروق اللغوية:٢٨٥.

(٦١) التبيان:٥/٣٧٠.

(٦٢) مفردات الراغب:٧٤١.

(٦٣) من وحي القرآن:٨/٢٣٣-٢٣٤.

(٦٤) التبيان:٥/٣٧٠.

(٦٥) المائدة:٥٨.

(٦٦) مفاتيح الغيب:١٢/٣٥، مواهب الرحمن:١١/٤٣٦.

(٦٧) من وحي القرآن:٨/٢٣٢.

(٦٨) ينظر: التبيان:٥/٣٧١.

(٦٩) التبيان:٥/٣٧٢.

(٧٠) البقرة : ١٤ – ١٥ .

(٧١) مفردات الراغب: ٧٤٥.

(٧٢) مواهب الرحمن: ١/١٣١.

(٧٣) مفردات الراغب : ٢٩٨.

(٧٤) التحرير والتنوير: ١/٢٨٧.

(٧٥) مواهب الرحمن: ١/١٣١.

(٧٦) التحرير والتنوير: ١/٢٨٧.

(٧٧) الكشاف: ١/٧٣.

(٧٨) جامع البيان: ١/١٠٢ ، التبيان: ١/٤٠٧.

(٧٩) تفسير ابن عباس :٤.

(٨٠) التبيان: ١/٤٠٧ ، ومجمع البيان: ١/١٠٧.

(٨١) التبيان: ١/ ٤١٠.

(٨٢) الكشاف: ١/٧٣.

(٨٣) الكشاف: ١/٧٤.

(٨٤) دلائل الاعجاز: ٢٢٨.

(٨٥) ينظر: الكشاف: ٧٣/١-٧٤.

(٨٦) التحرير والتنوير: ٢٨٧/١.

(٨٧) ينظر: تفسير الشريف المرتضى: ٣٠٤/١، مجمع البيان: ١٠٨/١، من وحي القرآن: ١٥٢/١.

(٨٨) ينظر : نفائس التأويل: ٣٠٥/١، مجمع البيان: ١٠٨/١، من وحي القرآن: ١٥٢/١.

(٨٩) ينظر: نفائس التأويل: ٣٠٦/١.

(٩٠) ينظر: الكشاف: ٧٤/١، من وحي القرآن: ١٣٧/١ و ١٥٢.

(٩١) مفاتيح الغيب: ٧٧/٢.

(٩٢) نفائس التأويل: ٣٠٦/١، وينظر: التبيان: ٤١٨/١، الكشاف: ٧٤/١ ، مفاتيح الغيب: ٧٧/٢.

(٩٣) نفائس التأويل : ٣٠٦/١، وينظر: التبيان: ٤١٠/١ ، الكشاف: ٧٤/١ ، مجمع البيان: ١٠٨/١ .

(٩٤) البقرة : ١٩٤ .

(٩٥) من وحي القرآن: ١٥٢/١.

(٩٦) نفائس التأويل : ٣٠٦/١ ، ينظر: مجمع البيان: ١٠٩/١ ، ومفاتيح الغيب : ٧٧/١٢ وقريب من هذا الحديث في المعنى ينظر: التبيان: ١/ ٤١١ ، تفسير العسكري: ١٢٣.

(٩٧) المطففين : ٣٤ – ٣٥ .

(٩٨) نفائس التأويل : ٣٠٩/١.

(٩٩) نفائس التأويل : ٣٠٩/١.

(١٠٠) الكشاف: ٧٥/١، مفاتيح الغيب: ٧٨/١.

(١٠١) النساء : ١٤٢ .

(١٠٢) آل عمران : ٥٤ .

(١٠٣) ينظر: دلائل الإعجاز: ٥٣٢ ، وكذا الآيات (١٠، ١١، ١٢، ١٣) لم يعطف لهذا السبب.

(١٠٤) ينظر: نفسه.

(١٠٥) التوبة : ١٢٦ .

(١٠٦) الكشاف: ١/ ٧٥، مفاتيح الغيب: ٧٨/٢.

(١٠٧) التوبة : ٦٤ .

(١٠٨) مجمع البيان: ١٠٩/١ ، وينظر: التبيان:١/ ٤١٢.

(١٠٩) التبيان: ٤١٣/١ ، وينظر مجمع البيان: ١٠٩/١.

(١١٠) ينظر: من وحي القرآن: ١٥٢/١-١٥٣.

(١١١) التبيان: ٤١٢/١.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم .

- أسلوب السخرية في القرآن الكريم. عبد الحليم حفني. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.
- التبيان في تفسير القرآن. أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ). تح: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٦.
- التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور. مؤسسة التاريخ، بيروت، (د. ت).
- تفسير ابن عرفة. ابو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي (ت٨٠٣هـ). تح: جلال الاسيوطي. دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م .
- التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام). تح: مؤسسة الإمام الهادي بقم، إشراف السيد محمد باقر نجل آية الله مرتضى الموحد الأبطحي الاصفهاني. مؤسسة الباقر للنشر والتوزيع، ١٤٣٧-٢٠١٦.
- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس. ط٢، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤ – ١٤٢٥.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ). ط٢. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاًده بمصر، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

- دلائل الإعجاز. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١ه) أو (ت٤٧٤هـ). قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر. ط٥. مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- السخرية في الأدب العربي. محمد نعمان محمد أمين طه. دار التوفيقية للطباعة في الأزهر، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- الفروق اللغوية. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ت نحو (٤٠٠هـ). تح: محمد باسل عيون السود. ط٣. دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ه- ٢٠٠٥م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ابو القاسم جار الله محمود بن محمد الزمخشري (ت٥٣٨ه) وبحواشيه أربعة كتب. تح: محمد عبد السلام شاهين. ط٢، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤-٢٠٠٣م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن. أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٦هـ)، تح: لجنة من العلماء والمحققين الاخصائيين. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. القاضي أبي محمد عبد الحسن بن غالب بن عطيّة الأندلسي (ت٥٤٦ه). تح: عبد السلام عبد الشافي محمد. دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ه-٢٠٠١م.
- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير. الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين محمد (ت٦٠٤هـ). ط٣. دار الفكر، ١٤٠٥ه.
- مفردات الفاظ القرآن الكريم. الراغب الاصفهاني (ت٤٢٥هـ). تح : صفوان عدنان داودي. ط٣. دار القلم، دمشق، ودار الشامية، بيروت، ١٤٢٤هـ .
- مقاييس اللغة. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ). تح: عبد السلام محمد هارون. الدار الإسلامية، ١٤١٠ه-١٩٩٠م.
- من وحي القرآن. محمد حسين فضل الله. ط٣. دار الملاك، بيروت، ١٤٢٨ه.

- مواهب الرحمن في تفسير القرآن. السيد عبد الأعلى السبزواري. ط٥. دار التفسير، قم، ١٤٣٠هـ -٢٠١٠م.
- الميزان في تفسير القرآن. السيد محمد حسين الطباطبائي. صححه وأشرف على طبعته الشيخ حسين الأعلمي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
- نفائس التأويل. للشريف المرتضى (ت٣٧٢هـ). جمعه: لجنة من العلماء المحققين بإشراف السيد مجتبى أحمد الموسوي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٣١ه – ٢٠١٠م.